إدوارد سعيد والموسيقي

حسين حيمر

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية شعبة الفلسفة،

جامعة تلمسان، الجزائر، himeurhocine@yahoo.com

الملخص:

عبر سعيد عن اهتماماته الموسيقية فى كتاب «متتاليات موسيقية» سنة 1991 محاولا ربط الموسيقى ببعديها الثقافى والسياسي، فكان قادرا على ربط الموسيقى ببعدها الثقافى والسياسي"، وهنا يناقش إدوارد سعيد فى كتابه بادئا ذى بدء بدور المسيقى الكلاسيكية فى الغرب المعاصر، وعليه، فإن الموسيقى بشكل حرفى تملأ تماما فضاء اجتماعيا، وهى تفعل ذلك عن طريق إحكام أفكار السلطة والتسلسل الهرمى الاجتماعى المرتبط مباشرة مع مؤسسة مسيطرة يتخيل أنها مترأسة وسائدة.

ويدافع إدوارد عن عن الجدارة الجمالية لدى موسيقى فاجنر برغم ما يشوبها من إرث ثقافى وسياسى ويعتبرها جمالية غر قابلة للإتهام. فهى سم ودواء فى آن واحد، على الرغم من فظاظتها إلا أنه ليس بالإمكان أن نختزلها إلى مستوى واقعيتها الفظة فحسب.

الكلمات المفتاحية: إدوارد سعيد- الموسيقى – المجتمع- الفلسفة- استكشافات.

Abstract : Said expressed his musical interests in his 1991 book, "Musical Suite," attempting to connect music to its cultural and political dimensions. He was able to connect music to its cultural and political dimensions. Here, Edward Said discusses the role of classical music in the contemporary West, beginning with the role it plays in the contemporary West. Accordingly, music literally fills a social space, and it does so by enforcing ideas of power and social hierarchy, directly linked to a dominant institution that he

imagines to be presiding and dominant. Said defends the aesthetic merit of Wagner's music, despite its cultural and political legacy, and considers it an unimpeachable aesthetic. It is both poison and medicine; despite its crudeness, it cannot be reduced to its crude realism alone.

Keywords: Edward Said - Music - Society - Philosophy – Exploration

1-مقدمة :

أصبح الكاتـب والمفكر إدوارد سعيد مصدراً معرفياً للكثير من الباحثين. فهو حاضر في الموسوعات التي تؤرّخ للنقد الأدبي ونظرية الفن وعلم الموسيقى لأن مشروعه العلمي كمفكر حاضر بقوة في الموسوعات الغربية التي تؤرخ للنقد الأدبي والنظرية ودراسة الآخر والنقد الموسيقي والمطلع على سيرته يعرف بعمق اهتمامه وإطلاعه بالموسيقى. فقد كان عازفاً ماهراً على البيانو ودارساً للموسيقى ومحللاً لها فنياً. وكان ادوارد سعيد مولعاً بالموسيقى الكلاسيكية الألمانية بسبب تنشئته المبكرة التي جعلته مأخوذاً بها وهي بعيدة في روحها عن الموسيقى العربية والشرقية الأقرب إلى الموسيقى اللاتينية. سواء كتب سعيد عن الموسيقى والأدب والفلسفة والمجتمع فهو يكتب بناء على تجربه وموضوعات الكتابة عنده مشبعة بثقافة الشرق والغرب ثقافة دّالة على عمقها واتساعها تميّزها عن الآخرين. وكتاب إدوارد عن (الأسلوب المتأخّر) هو تأمّل في كتابات موسيقيين وفلاسفة كبار في إنجازاتهم في الفترة المتأخرة من حياتهم.

إن التربية الموسيقية تساهم بقوة في بعث الوعي واسترجاع المنهج السليم والأساس المهم للإصلاح فما هو دور الموسيقى في التكوين والتغيير الاجتماعي ؟

ويفترض بأن الموسيقى بحاجة إلى من يجدد فيها روح المجتمع وأصالته ودورها في عملية الاصلاح تظهر في تغيير الأوضاع الراهنة للمجتمع بالدعوة إلى تجديد مقوماتها لكي تعمل على تغيير أوضاع المجتمع الثقافية والاجتماعية والسياسية. ومن بين الأهداف المرجوة من هذه الورقة البحثية هي تناول أفكار إدوارد سعيد التربوية الموسيقية من زاوية نقدية تحليلية للوصول الى تقييم موضوعي محاولين بدلك تجاوز الدراسات النمطية السالفة ومن ثمة ابراز دور هذا المفكر في تشكيل وعي فني والبحث عن فكر موسيقي لبعث روح التجديد في المجتمع. وقد اتبعنا في سبيل ما سعينا إليه منهجا ملائما لطبيعة دراستنا وهو المنهج التاريخي الذي يسرد أحداث وقائع ومسارات تطور الموسيقى عند سعيد كما استدنا على

آليات المنهج التحليلي في ها البحث من أجل تحليل أفكار هذا المفكر الموسيقية. كما استخدمنا في هذه الدراسة أيضا المنهج الوصفي (تحليل محتوى) وهو المنهج الذي يحاول توضيح الإجابة على الظاهرة الخاصة بموضوع البحث ويشتمل تحليل بياناتها وبيان العلاقة بين مكوناتها.

2- مكانة الموسيقى في تفكير إدوارد سعيد:

2-1- التكوين الموسيقي لإدوارد سعيد:

إذا أردنا التعرف على المكانة الفكرية لإدوارد سعيد فعلينا بقراءة كتابه الاستشراق وإذا رغبنا معرفة مدى تديُّنه وحبِّه ودفاعه للإسلام بالرغم من مسيحيته وشغفه لحوار الأديان فلنقرأ كتابه تغطية الإسلام وإذا أردنا التقرب منه أكثر فلنطلع على سيرته الذاتية التي تلهب المشاعر فعلنا بتصفح كتابه خارج المكان وإذا شغفنا بمعرفة النقد العلمي فعلينا بالرجوع إلى كتابه العالم النص والناقد وإذا عشقنا دور المثقف فلنتمتع بكتابه المثقف والسلطة وإذا تمعَّنا كتابه المسألة الفلسطينية فسنعرف هوية إدوارد سعيد[1]. لا يُمكن ربط موقف إدوارد سعيد بالقضية الفلسطينية بوجه خاص بفكره وبعقليته والنقدية بوجه عام دون معرفة رؤيته الموسيقية ومدى عشقه للموسيقى التي نَمَت معه منذ نعومة أظفاره. إن معرفة علاقة سعيد بالموسيقى توضحها لنا بيئته الفكرية والأدبية وتأثيرها في فكره وتراثه الأدبي والموسيقي. مع بلوغ إدوارد سعيد السادسة من العمره جلب الأب وديع سعيد لولده الصغير مدرسًا خاصًّا للموسيقى في المنزل مرافقًا لمدرسي المواد التعليمية الأخرى إن لم يكن على رأسهم مما غرس في صاحبنا حُبَّه للموسيقى الذي سلَّحه بالحس المرهف والشعور الجارف للأحرف الموسيقية ونمَّا فيه النقد الموسيقي العالي حتى إنه كان يتمنى أن يُصبح موسيقيًّا لا أستاذًا للأدب المقارن فقد تحدث سعيد كثيراً عن مدرس البيانو الخاص به وأسهب في الحديث عنه حتى إنَّه كان يعشق الموسيقى مقارنة بالمواد الدراسية والتعليمية الأخرى[2]. يقول إدوارد سعيد في كتابه (خارج المكان) حول علاقته بالموسيقى وكيفية نموها في مراحل طفولته وصباه وكنت قد بدأت في تذوق الموسيقى الكلاسيكية بجدية كبيرة. على أنه في تعلمي دروس البيانو وقد بدأتها في السادسة اختزلت ملكتها الذاكرة والميلوديا عندي في التدرب على السلالم الموسيقية وممارسة تمارين (سزيرني) وأمي حادبة عليَّ أو جالسة إلى جانبي فكانت النتيجة شعوري المتزايد بأنَّ ثمة ما يعوق تنمية شخصيتي الموسيقية. لم أشترِ الأسطوانات ولم أستمتع بحفلات أوبرا أختارها بنفسي قبل بلوغي الثامنة عشرة. ولما كان

موسم القاهرة الموسيقي للأوبرا والباليه محظوراً عليَّ فقد لجأت إلى ما تقدمه البي. بي. سي. والإذاعة الحكومية المصرية من برامج وكانت متعتي الكبرى الاستماع إلى برنامج الإذاعة البريطانية من خمس وأربعين دقيقة يُذاع بعد ظهر يوم الأحد بعنوان "ليلة في الأوبرا" وقد اكتشفت باكرًا جدًّا من خلال الكامل في الأوبرا لجوستاف كوبيه أنِّي أكره فيردي وبوتشيني لكنَّني أهوى القليل مما أعرفه عن شتراوس وفاجنر اللذين لم أشاهد أعمالهما الأوبرالية إلا حين شارفت على نهاية المراهقة" [3]. كانتْ في حجرة إدوارد مكتبة ضخمة والأسطوانات الموسيقية مختلفة وكثيرة ومتنوعة كانت زاد سعيد خلال سِنِي حياته الأولى واستمرَّت حتى مماته لكنها كانت برفقته طوال مراحل حياته الأولى ما بين القدس والقاهرة وهي المكتبة التي وفَّرها له والده ليس لثرائه الفاحش فحسب والذي مهد له الأرضية بشكل واضح أثناء هذه الفترة بشرائه ما كان يريده من كتب وأسطوانات موسيقية ولكن أيضًا لأنَّ والده كان يمتلك سلسلة من"القرطاسيات" أو المكتبات (بالمعنى الحديث). فكان يصله كل كتاب يصدر حديثاً حتى إنه قرأ في مراحل مبكرة من عمره كتبًا عالمية ومسرحيات وقصصًا خيالية كثيرة كان يحكيها لأخواته البنات ويمثلها معهن وفي مدرسته كما أنَّ والدته هيلدا كانت تشاركه تمثيل هذه القصص أو المسرحيات الروائية أحيانًا مما زاد من سعة أفقه. وقد كانت قدرته على الاستيعاب قوية وذاكرته حاضرة وقوية [4].

وعلى الرَّغم من تأكيد سعيد بعض الشيء من أنَّ لأسرته بعض العادات والتقاليد التي تربى ونشأ عليها وكرهها في فترات كثيرة من حياته فإنَّه كان يتمرد عليها باستمرار ويتهرَّب منها كلما أمكنه ذلك فكان يتحايل على أسرته التي كانت تفرض عليه مجموعة من الأسطوانات والأفلام التي تراها الأسرة صالحة للأطفال فحسب باستماعه للموسيقى من البي. بي. سي. والإذاعة المصرية والإذاعات الأجنبية خلال سِنِي حياته الأولى وذهابه إلى أو هروبه من دور السينما في كثير من الأحيان وكانت والدته تصطحبه وإخوته إلى دار الأوبرا المصرية للاستماع لآخر الأوبريتات والعروض المسرحية والموسيقية من بينها حفلات كوكب الشرق السيدة أم كلثوم وغالبًا ما كان يعرب عند سعادته بذلك باستثناء حفلات أم كلثوم التي لم تلق رضاه آنذاك حتى إنَّه كان يُردِّد دائمًا أنَّ والدته كانت تمثِّل معه ما كانا يرونه من مسرحيات غنائية أو أوبريتات في المنزل فضلاً عنه تأكيده دومًا بأنه كانت تصل إلى والده أحدث الكتب المنشورة والأسطوانات الموسيقية بحكم طبيعة عمل والده وتشعُّب علاقاته ومصالحه مع

أطراف مصرية وعربية وأجنبية. لقد كانتْ الموسيقى بالنسبة لسعيد مجالاً رحبًا وواسعًا للانطلاق نحو عالم آخر بعيدًا عما يفرضه عليه والديه من أسطوانات موسيقية بعينها وتعليم للبيانو. يقول سعيد "كانت الموسيقى باتجاه غير مرضية وسلسلة من تمارين البيانو المملة ولكنها كانت في اتجاه آخر غنية كانت عالماً عشوائيَ التنظيم من الأصوات والصور الفائقة بَيْد أنَّ سعيد كان يخرج من إحساسه بالمنفى ومملكته العقائدية وعقليته الذهنية الفذَّة بتعمُّده الابتعاد عن هذا العالم عندما يسمع أو يكتب عن الموسيقى فقد تكون هي وحدها التي أعطته الإحساس بالاستقرار الذي افتقده طوال حياته بالمنفى في الولايات المتحدة الأمريكية[5].

2-2- النشاطات الموسيقية لإدوارد سعيد:

لقد غدتْ الموسيقى جزءًا من حياة سعيد وضرورة مثل الماء والهواء فقد استمع لها وهو يقرأ ويكتب وكذا في أوقات راحته وجَمَع الكثير من مؤلفاتها وأدبياتها وطوَّر معرفة واسعة وضخمة في علم الموسيقى وكانتْ له صَدَاقات ومعارف مع كبار ملحنيها لذا لم يكن غريبًا أن يتبرَّع سعيد بإنشاء معهد للموسيقى في مدينة القدس المحتلة[6] أطلق عليه اسمه (معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى) والذي يُعد مؤسَّسة وطنية فلسطينية تتَّخذ من مدينة القدس الشريف مقرًّا لها وتسعى لتنشئة جيل موسيقي فلسطيني جديد قادر على إحداث تغيير نوعي في الواقع الثقافي الفلسطيني بشكل عام. تأسس المعهد عام 1993 في مدينة رام الله بالضفة الغربية تحت مظلة جامعة بئر زيت وللمعهد فروع ثلاثة في كلٍّ من القدس ورام الله وبيت لحم وبه المئات من الطلاب والطالبات ممن يتعلَّمون الموسيقى الكلاسيكية العربية والغربية إضافة إلى غيرها من برنامج التعليم الخارجي. ويعمل في المعهد ستين موظفًا منهم أربعون أستاذًا للموسيقى من دول مختلفة وعشرون موظفًا إداريًّا مُوزَّعين على الفروع الثلاثة لكنَّ مقرَّ الإدارة المركزية للمؤسسة ظل في القدس[7].

وفي عام 2008 نشرت جامعة كولومبيا الأمريكية التي كان يعمل إدوارد سعيد أستاذًا للأدب المقارن فيها قبل وفاته ودار نشر بلومزبري في لندن كتاباً يحمل عنوان "الموسيقى في أعلى تجلياتها"، وهو عبارة عن مجموعة مقالات سعيد النقدية التي كرَّسها خلال عقود ثلاثة للكتابة عن الموسيقى والنشاط الموسيقي الذي شهده وشارك فيه وهي مقالات نُشرت في مجلات نقدية وصحف يومية ومجلات ذلك أنَّ سعيد كان الناقد الموسيقي لمجلة نيشين The nationالأمريكية ذات التوجه اليساري خاصة وأنَّ سعيد عندما كتب عن الموسيقى شغله منها الموسيقى الكلاسيكية بالتحديد وعندما يكتب كان كواحد من أهل الفن وكمرجعية في مجاله. ولعلَّ ما ميَّز سعيد في كتاباته الموسيقية أنه كان قادرًا بصفته ناقدًا أدبيًّا على ربط الموسيقى ببعديها الثقافي والسياسي ويفهم معنى الموهبة والعبقرية الموسيقية وعلاقتها المضطربة بالحياة أو السياسة ولكنه لطالما حاول أن يفصل في فهمه الموسيقي وحياته الخاصة ومواقفه عن عبقريته لموسيقية[8]. وقد كتب سعيد العديد من المواضيع عن الموسيقا في مجلة الأمة الأمريكية الشهرة لعدة سنوات والتي كان سعيد ناقدا موسيقيا فيها. حيث كان سعيد حينئذ منشغلا بالنقد وباحثًا في الموسيقى من ناحية محاولته فهم أبعاد الفنان وحياته وما يُشكل فهمه من مؤثرات اجتماعية وسياسية وثقافية. وقد كان سعيد منغرسًا في الموسيقى باعتباره عازفًا ماهرًا أو قُل محترفًا على آلة البيانو فقد تشكَّلتْ ذائقة سعيد كما قالت أرملته مريم في مقدمتها لمجموعة المقالات عبر مجموعة الأشرطة المتنوعة التي كانت بحوزة والديه وعبر استماعه لبرامج الموسيقى على إذاعة بي. بي. س

3- كتابات إدوارد سعيد الموسيقية:

3-1- علاقات إدوارد سعيد بالفنانين:

ومع أنَّ سعيد شغف بالموسيقى إلا أنَّه كان عارفًا بمُجريات الموسيقى العربية بعض الشيء وأظهر في مقاله الذي نُشر في مجموعة مقالاته تأمُّلات حول المنفى عن الراقصة المصرية تحية كاريوكا تحية لتحية كاريوكا معرفة بعالم الموسيقى والغناء والرقص العربي وأبعادها الثقافية والاجتماعية. خاصة وأنَّ سعيد نفسه قد التقى كاريوكا قبيل وفاتها مباشرة خلال إحدى زياراته للقاهرة. لكن شغف سعيد واهتمامه الأكبر ظلَّ بالموسيقى الكلاسيكية وكبار الموسيقيين العالميين مثل باخ وموتسارت وبيتهوفهن وفاجنر وحتى أعمال الموسيقار الكندي

جلين جولد الذي طوَّر اهتمامًا كبيرًا به وجَمَع كلَّ ما كُتب عنه واستمع لكل أعماله وشاهد كل ما قدِّم عن حياته[9]. حتى إنَّ وفاة جلين جولد Glenn Gould عام 1982 كانت المحفِّز الأكبر لسعيد كي يكتب بشكل جدي عن الموسيقى كما تقول أرملته مريم فوفاة جولد عن خمسين عامًا ونهاية حياة موسيقي وعازف بيانو يُوصف بالاستثنائي وذي عادات غريبة أدَّت بسعيد للبحث بعمق عن حياة وإنجازات هذا العازف الماهر وأصبح هذا العازف شغلاً شاغلاً لسعيد وانهماكًا دائمًا له وصل حدَّ الهوس.

بَيْد أنَّ الموسيقى لم تكن بالنسبة لسعيد مُحاولة للمعرفة والاستمتاع فحسب بل مثلت له علاجًا وخروجًا من القلق والهموم. وهنا تُشير مريم سعيد إلى حكاية عن أثر الموسيقى في شخصيته بأنه عندما تعرَّض ولد إدوارد سعيد إلى حادث وجب نقله للمستشفى. وفي الوقت الذي كان هناك قلق وخوف على حياة الولد تقول مريم إنه بعد أن استوعب زوجها الخبر خبر مرض ابنه جاء بعد ساعة وذكَّرها بضرورة الاستعداد للذهاب لحفلة موسيقية كانا قد حجزا تذاكرهما فيها. ومع أنها بقيت تلك الليلة في البيت وذهب هو وحده فقد علمت بعد سنوات أهمية الموسيقى له باعتبارها طريقة للتغلب على الخوف من المرض والموت. والأمر نفسه تكرَّر حينما تغلب سعيد على قلقه بعد أن علم بمرض والدته بالسرطان من خلال الموسيقى. وكانت الموسيقى مهمة له في تلك الفترة لأنَّ والدته هي التي كوَّنت ذائقته الموسيقية منذ صغره. وبعد وفاتها عام 1990 صدر كتابه دراسات موسيقية والذي كرَّسه لذكراها.

وتخبرنا مريم سعيد إنَّ الموسيقى ارتبطتْ في حياة زوجها إدوارد كمعادل للزمن وأنه قبل وفاته اتَّصل بابن عم له يعمل قسًّا وسأله عن المكان الذي يتحدَّث فيه الإنجيل عن أن الساعة آتية وهي الآن. وإنَّه بعدما ان استمع لإجابة ابن عمه التفت إليها وقال لها إنه قلق من أنها لن تعرف أي موسيقى ستعزف في جنازته. ومع أنَّها تريثت قبل الإجابة إلا أنها عرفت أنه كان يخبرها أن هذه هي بداية النهاية وأنه كان يموت[10].

هذا ما يُؤكد مَدَى عشق سعيد للموسيقى التي كتب عنها وعن ذكرياته عنها في القاهرة. ومن هُنا يبدو النقد الموسيقي الذي قدمه سعيد ليس دليلاً على حرفيته ومعرفته بالمعنى واللفظ والمصطلح الموسيقي فحسب بل لأنَّه كان مُثقفًا وضليعًا في عدد من مسارات المعرفة أيضًا

فقد كان ناقدًا وأديبًا وفاهمًا للفلسفة واتجاهاتها القديمة والمعاصرة فهو إنسان مُرهف الحس ذو مبادئ وطنية وشخصية ذات أبعاد مختلفة[11].

وبعد لقاء إدوارد ودانييل بارانبويم Daniel Barenboim بالصدفة في لندن عام 1992 وذلك بعد مناداة بارنبويم للسلام بين الشعبين الفلسطيني والإسرائيلي[12]، حيث اشتركا معًا في إصدار كتاب موسيقي تحت عنوان "نظائر ومفارقات استكشافات في الموسيقى والمتجمع" صدر بعد وفاة سعيد بعامين. وفي سنة 1999 أسسا أوركسترا الديوان الغربي الشرقي وتتكون الفرقة من شبانٍ فلسطينيين وإسرائيليين ومن دول عربية مجاورة وقد أدت معزوفاتها على نطاق عالمي بما فيها فلسطين وإسرائيل. وعمل مع بارينبويم على تأسيس مؤسسة (بارينبويم سعيد) التي حصلت على تمويل حكومي سنة 2004 لوضعها أهدافاً تعليمية موسيقية كما ساعدت في عدة مشاريع أكاديمية كدراسات الأوركسترا والتربية الموسيقية في فلسطين ومشروع التعليم الموسيقي المبكر للأطفال في أشبيلية.[126]

لقد حاز إدوارد سعيد شهرة في الغرب كناقد أدبي من الطراز النادر وهو الناقد في كتابه مقالات أدبية يعرض لنا قضايا أدبية وفيه مقالات عن الفن والموسيقى يبدو فيها سعيد ناقداً موسيقياً أيضا وكان سعيد عازفاً ممتازاً على بعض الآلات الموسيقية وخاصة منها البيانو وتربط سعيد علاقات خاصة بموسيقيين كبار. والحقيقة أن الموسيقى عنده هي منفى اللغة ينبغي النظر إليها من هذه الزاوية بمعنى النظر إلى مفارقة أن المعنى الفائض يملأ وعاء دلالة غير مناسب له. وقد لا يكون كتاب الأسلوب المتأخر أعظم عمل متأخر لإدوارد سعيد مقارنة المشروع الموسيقي المعروف بأوركسترا الديوان الغربي الشرقي الذي أسس عام 1999. لأن تحديات هذا المشروع عديدة ومعروفة وهي تتضمن برنامج العزف الذي ينسخ بطرائق عدة مضمونا عن الأسلوب المتأخر.

كان إدوارد سعيد من محبي الموسيقى وعازفا بارعا للبيانو[13]وترك لنا ثلاثة مؤلفات حول الموسيقى بالاشتراك مع دانييل بارينبويم (متتاليات موسيقية) و(المتشابهات والمتناقضات استكشافات في الموسيقى والمجتمع)، و(النموذج الأخير الموسيقى والأدب ضد التيار). رأى سعيد في الموسيقى انعكاساً لأفكاره في الأدب والتاريخ ووجد إمكانية حياةٍ حقيقيةٍ في

إنجازاته الجريئة. وقد نشرت له عن جامعة كولومبيا بعد وفاته عام 2007 مجموعة مقالاتٍ بعنوان حدود الموسيقى[14]. وكانت بنت إدوارد سعيد نجلاء ممثلة وكاتبة مسرحية وعضوة مؤسسة في المسرح العربي الأمريكي الجماعي "نبراس"[15]. وأعادت جامعة بئر زيت سنة 2004 تسمية مدرستها الموسيقية باسم معهد إدوارد سعيد الوطني للموسيقى تكريماً له [16].

كان إدوارد سعيد شغوفًا بالموسيقى ومستمعا مخلِصًا للموسيقى الكلاسيكية ذوقيا فقد تعود على سماعها منذ صِغره كما تعلم العزف على البيانو في عمر مبكرة حتى اقتنع انه سيكون عازفا كبيرا لآلة البيانو كنوع من الدخول في أسلوب الحياة البرجوازية الذي حاول والده وديع آنذاك أن يعوّده عليه. وبالفعل كان له ما توقع فقد عزف البيانو في حفلات حضرها قبل أن يتغير مستقبله كليا ويصير مفكرا وناقدا ثقافيا ذائع الصيت وبالرغم مما صار إليه إدوارد سعيد من موضع آخر بعيد عن الموسيقى إلا أنه كتب ما هو ليس بالقليل عنها.

وقد تأثر إدوارد سعيد في تحليلاته الموسيقية وآثار الموسيقى الاجتماعية تأثرًا جليا بالفيلسوف الكبير ثيودور أدورنو Theodod W. Adorno الذي اختص بمجال الجماليات وعلمها في مدرسة فرانكفورت الفلسفية ولا يكاد يخلو كتاب ولا مقال لإدوارد عن الموسيقى إلا ويأتي ذكر أدورنو كأب روحي لسعيد في هذا التخصص. يلتقي إدوارد سعيد بأدورنو في كون أن الموسيقى لا تنفصل عن النشاط الاجتماعي خاصة المفارقة غير الإنسانية التي ما ربطت كثير بين الموسيقى كونها في جوهرها فن نبيل وبين ممارسات بشعة مثل سوق المعتقلين في السجون النازية على موسيقى الموسيقار الشهير ريتشارد فاغنر Richard Wagner . وكان أدورنو أول من بدأ هذه الإشارة إلى الربط بين الموسيقى والاعتقال والتعذيب وسوْق المعتقلين إلى غرف الإعدام على أنغام الموسيقى الكلاسيكية. ولم يلبث طويلا حتى سار إدوارد على نفس النهج والأخذ بالمقارنة ذاتها وإنزالها على أفعال احتلال الإسرائيلي في سجونها تجاه الفلسطينيين حيث تُمارِس نفس الأسلوب فيذكر سعيد استخدامها موسيقى الميتال Heavy Metal لإزعاج المحاصرين في كنيسة المهد في بيت لحم عام 2002 في الاجتياح الإسرائيلي للضفة الغربية آنذاك. يذكر سعيد في أحد المقالات: "إنني مهتم بالأثر والمكون الاجتماعي للموسيقى وما تصنعه من اشكاليات أخلاقية ربما بحسب أدورنو الذي استفزه عزف الموسيقى الكلاسيكية في معسكر أوشفيتز الشهير ببولونيا Auschwitz فالضابط كان يقتل الناس نهارا ليعزف يوهان سباستيان باخ ليلا Jean Sébastien Bach ويكمل سعيد عن الممارسات الإسرائيلية في سجونها ذاكراً أن القوات

الإسرائيلية ومنها المخابرات كانت تبث موسيقى بيتهوفن أثناء تعذيب المعتقلين الفلسطينيين كنوع من "الضغط البدني المعتدل" كما يصفه الإسرائيليون. ويذكر أيضا أن صديق ابنه والذي كان عضوا في حركة المقاومة الإسلامية حماس لم يكن يحتمل موسيقى بيتهوفن التي كانت تدوي في منزل إدوارد. فعند ما سأله لماذا ؟ قال له بأن الإسرائيليين كان يضعونه في زنزانة مجهزة بمكبرات الصوت ويعزفون الموسيقى الكلاسيكية بأعلى صوت ممكن كنوع من أنواع الضغط. إن جوهر القضية بالنسبة لإدوارد سعيد يتلخص ربما في قوله: "إن استخدام الموسيقى الكلاسيكية من جانب أناس لديهم ثقافة موسيقية رفيعة المستوى حيث أن فرقة الأوركسترا الإسرائيلية كانت تعزف أعمال لودفيك فان بيتهوفن Ludwig Van Beethoven وفولفغانغ أماديوس موزارت Wolfgang Amadeus Mozart وآخرين مثل أي فرقة بالعالم في مراكز الاستجواب ضد الفلسطينيين هو ببساطة أمر لا يمكن الدفاع ولا السكوت عنه"[17].

3-2- جوائز إدوارد سعيد:

لقد حصل إدوارد سعيد على عشرين شهادةً فخريةً من جامعاتٍ عالمية [18].فحصل من جامعة هارفاردHarvard على جائزة بودوان(Bowdoin Prize) ، وعلى جائزة ليونيل تريلينغ (Lionel Trillin Award) مرتين، أولاهما كانت النسخة الأولى من هذه الجائزة. كما حصل على جائزة ويليك (Wellek Prize) من قبل الجمعية الأمريكية للأدب المقارن، وعلى جائزة اسبينوزا Baruch Spinoza [19]. وسنة 2001 حصل على جائزة لانان الأدبية عن مجمل إنجازاته[20] وسنة 2002 نال جائزة أميرة أستورياس Prix Princesse des Asturies، وكان أول أمريكي يحصل على جائزة سلطان بن علي العويس[21]وسنة 1999 حصلت سيرته الذاتية خارج المكان على جائزة النيويوركر لفئة غير الروايات the New Yorker وفي سنة 2000 على جائزة كتب أنسفيلد وولف للفئة نفسها[22]، وجائزة مورتون داوين زابل للأدب Morton Dauwen)

كما دُوّن اسمه كراعٍ فخري لجامعة الجمعية الفلسفية وكلية ترينتي في دبلن بعد (Zabel).[23] وفاته بوقت قصير.

أمضى إدوارد سعيد جلّ حياته في الغربة وهو عتب فيما بعد على أهله أشد العتب لأنهم لم يسمحوا له بالانخراط في مجتمعه الذي نشأ فيه وبالتالي لم يتسنّ له معرفته معرفةً وثيقة وقد سمّى غربته بالنفي. يتحدث عن رؤيته في سيرته الذاتية "المنفى هوّةٌ قسريةٌ لا تنجسر بين الكائن البشري وموطنه ألأصلي وبين النفس ووطنها الحقيقي ولا يمكن التغلب على الحزن الناجم عن هذا الانقطاع وأيّاً كانت إنجازات المنفي فإنها خاضعةٌ على الدوام لإحساس الفقد"[24]. وفي ها بأنه أيّاً كانت إنجازات المنفي فإنها خاضعةٌ على الدوام لإحساس الفقد

تمنَّى سعيد لو كان وموسيقيا لا أستاذَ أدب مقارن فالموسيقى كانت المتنفس الوحيد له للخروج من عالم المنفى والإمساك بالقلم والورقة والابتعاد عن العصف الذهني فقد كانتْ له ذائقة موسيقية خاصة أضفتْ عليه روحانية خاصة تجلت في كل كتاباته حتى باتتْ مُرادفة ومرافقة له طوال حياته المهنية والأكاديمية والخاصة على حدٍّ سواء.

4 -خاتمة:

إن إدوارد سعيد ليس مفكراً وناقداً أدبيا فقط بل هو ناقد موسيقي وعازف بيانو كتب في الموسيقى ثلاثة مؤلفات هي متتاليات موسيقية وهو عبارة عن حوار ساحر وملتهب حول السياسة والثقافة جرى في أشهر قاعة موسيقية بينه وبين دانيال بارنبويم وهما مؤلفا كتاب المتشابهات والمتناقضات استكشافات في الموسيقى والمجتمع. وأسسا معا أوركسترا الديوان الغربي الشرقي مكونة من إسرائيليين وعرب وهي مؤسسة تهدف إلى تعزيز السلام في الشرق الأوسط من خلال الموسيقى الكلاسيكية كما كتب إدوارد سعيد كتاب الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار وفيه يناقش أفكار الفيلسوف الألماني تيودور ادورنو الموسيقية الذي يرى بأن الموسيقى هي منفى للغة وتخبرنا أرملة إدوارد سعيد مريم بأنه كان يريد أن يتخصص في الموسيقى. واجه تفكير إدوارد سعيد الموسيقى تحديًا تدريجيًا من خلال الاختراع الموسيقي إنه لم يتجمد مع الزمن بل هو حركة مستمرة في الابتكار. ويتحدث إدوارد سعيد عن علاقته بالعالم بكلمات الموسيقى من خلال تمارين. وعندما يتحدث عن الموسيقى يتعامل على مستوى آخر غير الأدب وللموسيقى عنده استخداماتها الاجتماعية

والثقافية وحتى السياسية وبسبب حميميته المفرطة في العلاقة مع الموسيقى ما زالت كتابات سعيد مهمشة للغاية في أعماله الفكرية.

وهكذا فإنه غالبا ما يتجه تفكير قراء إدوارد سعيد إلى ثقافته المركبة من اللغتين العربية والإنجليزية ولما صدر كتابه الاستشراق عام 1978 ووقعت هزّة ثقافية في الغرب الذي وضعه إدوارد سعيد في مخبر نقدي فكري أعاد فيه النظر في مركزية النخب الغربية الاستعلائية تجاه الشرق. وعندما نشر كتابه تغطية الإسلام سنة 1981 الذي أعتبره البعض من النقاد امتدادا للكتاب الأول في ظل مشروع الثقافي الضخم لإدوارد سعيد الذي يعتبر من كبار نقاد الأدب عالميا حيث بدأ حياته الفكرية النقدية بكتاب البدايات القصد والمنهج الذي كرسه للمفكر الإنجليزي جوزيف كونراد عام 1966. غير أن إدوارد سعيد ليس مفكراً وناقداً وسردياً ً خصوصاً في كتابه السِّيرة الذاتية خارج المكان فقط بل هو إلى جانب ذلك ناقد موسيقي وعازف بيانو كتب في الموسيقى ثلاثة مؤلفات هي متتاليات موسيقية عام 1991 وهو عبارة عن حوار ساحر جرى في أشهر قاعة موسيقية في العالم (كارنغي) بين إدوارد سعيد وأبرز شخصية موسيقية معاصرة دانيال بارنبويم مدير الشؤون الموسيقة لاوركسترا شيكاغو السيمونية ودار الأوبرا الألمانية. إنه نقاش وملتهب حول السياسة والثقافة والموسيقى خاصة حيث يتطرقان للإحساس بالمكان والفرق بين كتابة النثر والموسيقى وبتهوفنً كأعظم مؤلف للسوناتا وصعوبة عزف فاغنر والصوت في المسرحية وقدرة الثقافة على تجاوز جميع الفوارق السياسية. وكتاب المتشابهات والمتناقضات استكشافات في الموسيقى والمجتمع عام 2002 بالاشتراك مع دانييل بارنبويم ثم كتاب عن الأسلوب المتأخر موسيقى وأدب عكس التيار الذي صدر عام 2015 بعد رحيله. وفيه يناقش أفكار الفيلسوف الألماني تيودور ادورنو الموسيقية وهنا تتجلى لنا ثقافة إدوارد سعيد الموسيقية وفهمه العميق للأعمال السيمفونية وأوركسترات العالم الكبرى والأعمال الأوبرالية العالمية. وفي ذات الكتاب يرى إدوارد سعيد بأن الموسيقى هي منفى للغة كما تخبرنا أرملته مريم قرطاس سعيد بأنه كان يريد أن يتخصص في الموسيقى. إدوارد سعيد ، وهو مثقف نقدي يتقاسم حالة المنفى الدائم مع تيودور أدورنو قد وجد مكانًا مستقرًا فقط في الموسيقى حيث يمكن أن تتكشف خيط قصته الخاصة في بناء "أنا" الخاص به. تصبح الموسيقى بالنسبة له إتقانًا للوقت واستحضارًا للموت. لكن إدوارد سعيد دفع بالتدريج إلى التساؤل عن الاستخدامات الاجتماعية والسياسية للموسيقى الكلاسيكية التي يحللها بمساعدة مفهوم التفصيل الذي استعاره من غرامشي في ربطه قبل كل شيء بشروط تفسير وتنفيذ الموسيقى

الكلاسيكية. وهكذا فإن للموسيقى عناصر معادية وبدوية. الأطروحة التي بموجبها كل تفسير هو إعادة تفسير تسمح لسعيد بتطوير مقاربة لعمل فاجنر، والتي يشاركها مع دانيال بارنبويم ، الذي كان لقائه مهمًا جدًا بالنسبة له ، مما أتاح له الفرصة لإقامة صلة بين مواقفه السياسية تجاه الفلسطينيين. وحبه للموسيقى خاصة مع تأليف أوركسترا ديوان أوكسيدنتال الشرقية. يمكن إدراك الموسيقى على أنها جوهر الإنسانية.

5-المصادر والمراجع:

1-خالد سعيد، "إدوارد سعيد ناقد الاستشراق" قراءة في فكره وتراثه ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2011، ص11.

2-إدوارد سعيد في مقابلة مع جمال الشاعر، قناة النيل الثقافية، القاهرة، أذيعت في 2009/4/3.

3-إدوارد سعيد، خارج المكان، نسخة إلكترونية.

4-خالد سعيد، إدوارد سعيد ناقد الاستشراق، مرجع سابق، ص50.

5-ديلسا ديمبرج ستين، "من هو إدوارد سعيد؟" ترجمة محسن عواد عراق الكلمة (بغداد) 2006/5/2، (http://www.iraqalkalema.com/article.php?id=1103).

6-حلقة نقاشية في صالون القاهرة على القناة الأولى المصرية أُذيعت في 2008/12/20، وشارك فيها دكتور جابر عصفور ودكتور أنور مغيث وأدارها الدكتور إسماعيل سراج الدين.

7-معهد إدوارد سعيد للموسيقى بالقدس ويكيبيديا.

8-إبراهيم درويش، إدوارد سعيد في كتاب "الموسيقى في أعلى تجلياتها القدس 2009، د.ت.

9-المرجع نفسه.

10-المرجع نفسه.

11-حلقة نقاشية في صالون القاهرة على القناة الأولى المصرية أُذيعت في 2008/12/20، وشارك فيها دكتور جابر عصفور ودكتور أنور مغيث وأدارها الدكتور إسماعيل سراج الدين.

12-هدى الحسيني، دانييل بارنبويم سنعزف لأول مرة في رام الله وأتمنى أن نعزف في دمشق الشرق الأوسط (لندن) 2005/8/18.

13- Encyclopedia Britannica Online, Edward Said, accessed January 2010. واي باك مشين أبريل 2015 على موقع 30 نسخة محفوظة.

14- Edward W. Saïd, Music at the Limits University Press, accessed 5 January 2010. نسخة محفوظة واي مايو 2014 على موقع 10 باك مشين.

15- Najla Said: Actor and Playright. Institute for Middle East Understanding. http://imeu.net/news/article005785.shtml نسخة واي باك مشين على موقع 19-04-2014 محفوظة.

16-Birzeit University, Edward Said National Conservatory of Music. واي باك مشين فبراير 2015 على موقع 11 نسخة محفوظة.

17-إدوارد سعيد، الوجه البشع للموسيقى (إحدى مقالات إدوارد الشهيرة) ، http : saqya.com

18-The English Pen World Atlas, "Edward Said", accessed on 3 January 2010.

19-Spinozalens, Internationale Spinozaprijs Laureates, accessed on 3 January 2010. نسخة محفوظة 14 ديسمبر 2013 على موقع واي باك مشين

20-جوائز لانان الأدبية هي سلسلة من الجوائز والمنح في مختلف المجالات من قبل مؤسسة لالان Lannan، مؤسسها هو J. Patrick Lannan عام 1960.

21-Columbia University Press, "About the Author", Humanism and Démocratic Criticism, 2004.

22-وهي جائزة دولية تمنح في إسرائيل منذ 1978 للعلماء والفنانين الدين قدموا إنجازات في مصلحة البشرية والعلاقات الودية بين الناس بغض النظر عن الجنسية العرق الدين الجنس أو الآراء السياسية.

23-The English Pen World Atlas, Edward Said, accessed on 3 January 2010. نسخة واي باك مشين مارس 2012 على موقع 04 محفوظة

24-قناة الجزيرة الوثائقية "خارج المكان إدوارد سعيد" برنامج تلفزيوني 2019، اطّلع عليه بتاريخ (2020/1/18)